تدارك الأعمار واستقبال شهر رمضان بالإستبشار

2026-02-13

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي اختصّ أقواما بخِدمته. وشغلهم بمحبّته. فما لهم بغيره اشتغال. صاموا عن الشهوات. فمحا عنهم السيئات. وبلّغهم المقاصد والآمال. أعانهم على الصيام فصاموا. وأقامهم إلى خِدمته في الليالي الطِّوال. سمعوا في صحيح السنّة: ((أنّ الصوم جُنّة)). فحَمَوْا نفوسَهم من قبيح الفعل والمقال. فسبحانه من إله سَهَّلَ لِلْعِبَادِ طُرُقَ الخَيْرِ وَيَسَّرَ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَوَابِغِ الإِنْعَامِ مَا لا يُعَدُّ وَلا يُحْصَرُ، وجَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ لِلْبَرَكَاتِ مَنْزِلاً، وَلِلفَضَائِلِ مَوْطِنًا وَمَحَلًّا، نحمده تعالى ونشكره أن مَنَّ عَلَيْنَا بِرَمَضَانَ؛ شَهْرِ الرَّحْمَةِ والذِّكْرِ وَالغُفْرَانِ، وَشَهْرِ الصَّبْرِ وَالجُودِ وَالإِحْسَانِ، وجَعَلَه مِضْمَارًا لاستِبَاقِ الخَيْرَاتِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَتَفَيُّؤِ الرَّحَمَاتِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، إلهٌ تفرّد بالكمال والتمام، شهادةً مبرّأةً من الشرك والشكوك والأوهام، نرجو بها النجاة من النار والفوز بدار السلام، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ من خلقه وَخَلِيلُهُ، أَقْوَمُ الخَلْقِ مَنْهَجًا وسِيرةً، وأَنقَاهُمْ نَفْسًا وأَطْهَرُهُمْ سَرِيرةً، حَثَّنَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ عَلَى اغتِنَامِ الأَوقَاتِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّفَحَاتِ، فَكَانَ إِمَامَ المُتَّقِينَ، وَقُدْوَةُ الصَّائِمِينَ القَائِمِينَ، خَيْرُ مَنْ فَرِحَ بِقُدُومِ رَمَضَانَ وَاستَبْشَرَ، وَحَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى التَّزَوُّدِ فِيهِ بِزَادِ التَّقْوَى لِيَوْمِ المَحْشَرِ،

يا أيّها الناس هذا سيِّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورَغَّبَنَا

ومِنْ مهاوي الرَّدَى والزَّيْغ أنقذَنا * يا مرتَجِين نوالاً من عطيّتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الرسول الذي بشّرت بظهوره الكتب المنزَّلة والأخبار. والرحمة الشامل نفْعها في سائر القرون والأعصار. وعلى آله السادة الأطهار. وصحابته أئمّة الإقتداء من

المهاجرين والأنصار. صلاة تعتق بها رقابنا من النار. وتنزلنا بها منازل الأبرار. وتجعلها لنا ذخيرة في هذه الدار وفي تلك الدار. يا الله يا عزيز يا غفّار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. سنّة الله تعالى في خلقه، حياة ثم ممات، وحكمته في كونه، قدوم وفوات، واقتضت فطرة الله عز وجل على بني البشر النقص والهفوات، والتقصير في أداء التكاليف والواجبات، ولهذا شرع سبحانه وتعالى، مواسم تمسح الذنوب والآفات، وتغسل الزلات، وتزيل العثرات، مواسم تزيد في الحسنات، ويمحو الله بها الكثير من السيئات، ومن تلكم المواسم ، شهر رمضان المبارك، الذي ينتظر قدومه المسلمون بكل لهف، ويتأمّله المؤمنون بكل شغف، وما هي إلا أيام معدودات ويحلّ هذا الضيف بيننا، فمرحباً بشهر رمضان المبارك، أيّها المسلمون. فهكذا تُطوى الليالي والأيام، وتتقلّص الأعداد والأرقام، وتتصرم الشهور والأعوام، والناس قسمان، قسمٌ قضى نحبه، مرتهن بعمله، حسابه على ربه، وقسمٌ ينتظر، فإذا بلغ الكتاب أجله، {فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}، كما قال تعالى في سورة سيّدنا يونس عليه السلام، فطوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً، وطوبى لمن صدقت نيّته، وطابت سجيّته، وحسنت طويّته، فكم من الناس من ينتظر شهر رمضان بلهفة وشوق، لينهل من بركاته، ويغترف من خيراته، فهو المَعين الدافق، والنهر الخافق، وهو شهر النفحات والرحمات الربانية، وما أحوجنا إليها في زمن ضعف فيه الإيمان، وفسدت فيه الكثير من القيم والأخلاق، وقست القلوب، وزاد القلق والهموم والغموم، وكثرت الهواجس، وضعف اليقين بما عند الله وما أعدّه لعباده. فما أحوجنا لهذه النفحات الربانية، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني في "الدعاء"، وأبو نعيم في "الحلية"، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله يقول صلى الله عليه وسلم: ((افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفَحَاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ

رَوْعَاتِكُمْ)). والنفحة هي ما ينشره الله لعباده ويفيضه عليهم من آثار رحمته من الخيرات والمواهب، وقد أجمل سبحانه نفحات هذا الشهر بقوله جل وعلا في سورة البقرة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَي ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، أيّها المسلمون. إنّ بلوغ شهر رمضان، لنعمة كبرى، ومنّة عظمى، يقدّرها حق قدرها الصالحون المشمّرون، بلّغنا الله وإيّاكم شهر رمضان، وأعاننا فيه على الطاعات، اللهم آمين، فواجب على كل مسلم ومسلمة منَّ الله عليه ببلوغ شهر رمضان، أن يغتنم الفرصة، ويقطف الثمرة، فإنها إن فاتت كانت حسرة ما بعدها حسرة، وندامة لا تعدلها ندامة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشّر أصحابه بقدوم رمضان، تهيئةً لنفوسهم، وشحذاً لهممهم، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَاغْتِنَامِ سَاعَاتِهِ وَأَيَّامِهِ؛ فقد رَوَى الإمام أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)). أيّها المسلمون. فهذا رمضان مقبِل علينا بعد أيام قليلة، فأقبِلوا عليه، وخذوا منه الصحة لأجسامكم، والسموّ لأرواحكم، والعظمة لنفوسكم، والقوة لأجسادكم، والبذل والفضل، والكرم والعفو، والتسامح والصدق، لتسموا أخلاقكم، فرمضان فرصة لتربية النفس في هذه الجوانب، لتستقيم طوال العام، ومن لم يدرك هذه الحقائق الربانية، فقد يخسر وأيّ خسارة أعظم من السقوط من عين الله ورعايته ورحمته، لأنَّ الصِّيَامَ مَدْرَسَةٌ كَرِيمَةٌ تُطَهِّرُ الْجَسَدَ مِنْ ثِقَلِ المَادِّيَّاتِ، وَتَسْمُو بِالرُّوحِ مِنْ أَدْرَانِ الشَّهَوَاتِ، وَهِيَ تَأْخُذُ بِيَدِ صَاحِبِهَا إِلَى مَكَارِمِ الصِّفَاتِ، وَمَسَالِكِ الخَيْرَاتِ، فَلَو أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِي آدَابِ الصِّيَامِ لَوَجَدْنَا الالْتِزَامَ بِالأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ وَالإبْـتِعَادَ عَنِ الرَّفَثِ وَالصَّخَبِ وَقَوْلِ الزُّورِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ

بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)). ويؤكِّد هذا ما رواه الإمام أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَالنَّسَائِيُّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ)). وقَالَ صلى الله عليه وسلم أيضا:((الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ))، أيّها المسلمون. إنّ شهر رمضان المبارك خطوة نحو التغيير لمن هجر قراءة القرآن الكريم، وتدبّر أحكامه، والعمل بما فيه، فينبغي للمسلم أن يحدّد لنفسه وِرداً معيّناً يحافظ عليه في كل يوم، فيربّي نفسه، ويزكّي أخلاقه، ويعرف مكانه من الله، يقول تعالى في سورة البقرة: {شَهْرُ رَمَضَانَ اَلذِےٓ أُنزِلَ فِيهِ اِ۬لْقُرْءَانُ هُدىٗ لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ اَلْهُد۪ىٰ وَالْفُرْقَانِۖ}، فهذا التابعي الجليل الأحنف بن قيس رحمه الله، كان جالساً يوماً قبل شهر رمضان بأيام، فجال بخاطره قوله تعالى في سورة الأنبياء: {لَقَدَ اَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰباٗ فِيهِ ذِكْرُكُمُۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَۖ}، فقال رحمه الله: عليّ بالمصحف لألتمس ذكري، حتى أعلم من أنا وما هي أعمالي؟ فمرّ بقوم وهو يقرأ كتاب الله، قال تعالى فيهم كما في سورة الذاريات: {كَانُواْ قَلِيلاٗ مِّنَ اَلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَۖ وَبِالَاسْحِارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَۖ وَفِےٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِۖ}، ومرّ بقوم قال تعالى فيهم كما في سورة آل عمران: {اَ۬لذِينَ يُنفِقُونَ فِے اِ۬لسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ اَ۬لْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ اِ۬لنَّاسِۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ اُ۬لْمُحْسِنِينَۖ}، ومرّ بقوم وهو يقرأ في كتاب الله من سورة الحشر: {وَيُوثِرُونَ عَلَيٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٞۖ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْمُفْلِحُونَۖ}، فقال تواضعاً منه: اللهم لستُ أعرف نفسي في هؤلاء، ثم أخذ يقرأ فمرّ بقوم قال تعالى فيهم كما في سورة الصافات: {إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اَ۬للَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}، ومرّ بقوم : يقال لهم {مَا سَلَكَكُمْ فِے سَقَرَۖ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ اَ۬لْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ اُ۬لْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ اَ۬لْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ اِ۬لدِّينِ حَتَّيٰٓ أَت۪يٰنَا اَ۬لْيَقِينُۖ}، فقال: اللهم إنّي أبرأُ إليك من هؤلاء، حتى مرّ على قومٍ وهو يقرأ كتاب الله، قال

الله فيهم كما في سورة التوبة: {وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، فقال اللهم إنّي من هؤلاء، أيّها المسلمون. ليكن رمضان هذا العام، مختلف عن كل عام، فنؤدّي فيه الصيام بشروطه وأحكامه وآدابه، ونعزم فيه على التوبة من الذنوب والمعاصي، ونردّ فيه الحقوق والمظالم إلى أهلها، ونستغلّ أوقاته بالصلاة والقيام، وصلاة التراويح والذكر والدعاء، والصدقة وقراءة القرآن، ولنقم فيه بإصلاح ما فسد من العلاقات فيما بيننا، بين الإبن وأبيه، والأخ وأخيه، والجار وجاره، والصديق وصديقه، والقريب وقريبه، ولنصل أرحامنا، وعلينا أن نجعل من رمضان نقطة لتزكية نفوسنا، وتهذيبها بالأخلاق، وعلينا القيام بواجباتنا ومسئوليّاتنا على أكمل وجه، ولنتراحم فيما بيننا، فيعطف الكبير على الصغير، والغني على الفقير، ويرحم القوي الضعيف. فوالله لقد آن لنا أن نقوم بهذه الأعمال، حتى يكتب سبحانه وتعالى لنا الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، ولكي ينظر إلينا سبحانه وتعالى برحمته وعفوه، فيرفع عنّا كل شر ومكروه وبلاء، وقد حذّر سبحانه من هذه الغفلة فقال في سورة الحديد: {أَلَمْ يَانِ لِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّۖ وَلَا يَكُونُواْ كَالذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلَامَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ}، فلنستعدّ بنيّة خالصة لوجه الحيّ القيوم، ولنستبشر ولنفرح بمواسم العبادات والطاعات، لِمَا فيها من الفضائل والمنح والهبات، قال تعالى في سورة في سورة سيّدنا يونس عليه السلام: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِے ٱلصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}، أيّها المسلمون. لقد فاز وسعد من قدّم لآخرته من دنياه. وأنفق في كل أمرٍ يحبّه ويرتضيه مولاه. ولقد خاب وخسر من بخل بها وطلب منها الإزدياد. وهو يعلم أنّه عن قريب يرحل عنها فيخلّفها وراء ظهره، ويقدم على الله بلا زاد. فينتفع بها غيره ويحاسب هو عليها يوم المعاد. قال سبحانه في سورة المنافقون: {يَٰٓأَيُّهَا

ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْساً اِذَا جَآءَ اجَلُهَاۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝}. فاتّقوا الله عباد الله. وأحسنوا الظّنّ بربّكم، وأنفقوا ممّا آتاكم الله طيّبة به نفوسكم، ولايغلبنّكم الشيطان فإنّه شديد العداوة لكم. قال تعالى في سورة البقرة: {ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَامُرُكُم بِالْفَحْشَآءِۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاًۗ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝}. وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تبخلوا على إخوانكم بذات أيديكم فيمسك الله ما في يديه عنكم. فإنّ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق. ولا تمنعوهم المعونة بأنفسكم والمشي في حوائجهم فيحجب الله دعاءكم عنه)).

اللهم اجعلنا ممّن قالوا سمعنا وأطعنا، ووفّقنا لما يرضيك عنّا، وتوفّنا وأنت راض عنّا، اللهم بارك لنا فيما بقي من شعبان، وبلّغنا برحمتك شهر رمضان، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أهلّه علينا وعلى جميع المسلمين، بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، اللهم فسلّمه لنا وسلّمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن والمحن. اَللّٰهُمَّ اجعَلنا فيهِ مِنَ المُستَغْفِرينَ، واجعَلنا فيهِ مِن عِبادِكَ الصّالحينَ القانِتينَ، واجعَلنا فيهِ مِن أوليائك المُقَرَّبينَ، بِرحمتك يا اَرحَمَ الرّاحمينَ. اللهمّ وفّقنا لأداء ما يجب علينا من مال أو عمل. واجعلنا من المسارعين إلى الخيرات على الوجه الذي ترضاه عنّا بدون عجز ولا كسل، اللهم وفّقنا لاغتنام رمضان. والقيام بأعمال البرّ فيه من تلاوةٍ للقرآن. وصلةٍ للأرحام. وإحسانٍ إلى الجيران. وَاجْعَلْنَا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. واملأ قلوبنا بحب المساكين. اللهم لا تحرمنا البذل والصدقات. واهدنا للمعروف وفعل الخيرات. وثقّل موازيننا يوم القيامة بالحسنات. بفضلك وكرمك يا رحيم يا رحمان. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد له ربّ العالمين. اهـ